

ضوابط تأصيلية لفقہ المصطلحات وتأثيرها في بناء الشخصية وحركة المجتمعات

د. طه أحمد الزيدي

أصل المادة العلمية للمحاضرة التي أقيمت كمتحدث رئيسي في المحفل العلمي
الدولي الأول الذي أقيم للمدة (١٩ - ٢٣ / ١١ / ٢٠١٧)
في جزيرة لانكاوي بماليزيا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣)

(سورة البقرة).

المقدمة

إذا كانت اللغة تمثل جسر التواصل مع الآخرين ، فإن المصطلحات والمفردات تمثل مادة هذا الجسر، والبشرية لا غنى لها عن هذه المادة ، منذ ان خلق الله تعالى آدم عليه السلام ، وكان التحدي مع اعتراض بعض الملائكة معرفة المفردات ومدلولاتها، قال الله تعالى مصورا هذا المشهد: **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) (سورة البقرة).**

ومنذ ذلك الحين ، والمصطلحات مثلما أنها تمثل مادة التفاهم البشري، فإنها مقصد الأمم والجماعات في صراعها الحضاري، لأن من يملك ناصية صناعة المصطلحات ، فإنه يملك أداة التفوق والريادة.

ولعل من أهم القضايا التي تواجه الساحة العلمية والثقافية للأمتين العربية والإسلامية، في هذا العصر، الذي يطلق عليه عصر المعلومات، هو الموقف من التفاعل اللغوي مع متطلبات واقعا المعاصر، بكل تحدياته واشكالياته في ظل التقدم التقني وما افرزه من مصطلحات لها دلالات يتجاوز عدد ليس بالقليل منها الدلالة العلمية، ولعل السؤال -التحدي- أمام علماء اللغة العربية والمترجمين وذوي الاختصاص الدقيق في العلوم الانسانية والتطبيقية الناطقين باللغة العربية، كما يرى عدد من الباحثين ، كيف تستطيع الأداة اللسانية العربية أداء وظيفتها العصرية ومحاورة العلوم والمعارف الحديثة بلغة علمية مواكبة، قوامها المصطلح الدقيق والعبارة الدالة؟ وكيف نستطيع حماية الفرد والمجتمعات من الدلالات الخفية أو المسيطرة للمصطلحات الاعجمية، ونحن نحاول أداء هذا التوظيف؟.

إن هذه الدراسة جاءت لتسهم في معالجة ذلك من الناحية التأصيلية مع نماذج من الأمثلة على أثر الدلالات المصطلحية على الفرد والمجتمع بصورتيه الإيجابية والسلبية، ولذا جاءت في تمهيد ومبحثين وخاتمة .

يعالج التمهيد أهم الإشكاليات التي تتعلق بتعريب المصطلحات ودلالاتها. في حين يتناول المبحث الأول: الضوابط التأصيلية للتعامل مع المصطلحات ودلالاتها، وأثرها في تشكيل شخصية المسلم ولأسيما الذي يتعامل مع المصطلحات، تعريبا وصياغة ومفهوما.

أما المبحث الثاني: فيتعلق بمعالجة أثر دلالة المصطلحات على المجتمع ، ويتخذ من حرب المصطلحات، التي اتبعتها الإدارة الأمريكية في حربها على العراق. وتضمنت الخاتمة أهم النتائج والتوصيات.

تمهيد في إشكاليات الدلالة المصطلحية

إن المعالجة المعاصرة لأثر الدلالة المصطلحية على شخصية الفرد المسلم وعلى المجتمعات الإسلامية ولاسيما العربية في ظل الهيمنة العلمية للغرب، تستدعي أولاً الوقوف عند أهم الإشكاليات التي أفرزتها هذه الهيمنة مع حاجة المجتمعات للتعاوي مع التقنيات الحديثة ومنظومتها الاصطلاحية، لأن إدراك هذه الإشكاليات يسهم في أن تكون منارات هادية لإعانة من يسعى لبناء معجم أو موسوعة تعرف بالمفاهيم والدلالات التي غزت مجتمعاتنا.

أولاً: التراجع العلمي... فقد للسيادة المصطلحية

إن الوضع العلمي المعاصر للأمة العربية - الإسلامية ، جعلها في موضع التلقي لا العطاء، والاستهلاك لا الابتكار والإنتاج ، وبذلك لم تعد اللغة العربية تعطي الثراء اللغوي ومنه الاصطلاح كما في عصورها الذهبية في الحكم، التي صاحبته نهضة وارتقاء علمي، فهي الآن تأخذ كثيراً ولا تكاد تعطي إلا النزر اليسير.

ثانياً: الحركة العلمية الغربية وطوفان المصطلحات الوافدة

استقبال طوفان الألفاظ الوافدة، بسبب استيراد كثير من التقنيات الحديثة في ظل الحركة المتزايدة باطراد للتجارة الخارجية ، ومعها بلا شك كثرة التزود بمخرجات الحركة العلمية من بحوث ودراسات واكتشافات علمية في أغلب مجالات الحياة ، وهنا برزت إشكالية إيجاد المعادل للمصطلح الأجنبي، صياغة وتعريباً.

ثالثاً: ضعف المعادل المصطلحي العربي (التقني)

وإذا كان توفير المعادل المصطلحي في العربية ليس مستعصياً في بعض العلوم الإنسانية مثل اللغويات والأدب والاجتماعيات إلخ... بحكم ما تراكم في اللغة العربية من مخزون معجمي غني وكاف لكي يمنح منه المصطلحيون بكل ارتياح، فإن الأمر يختلف في مجال العلوم التجريبية والتقنية التي نمسي فيها ونصبح على كم غزير يستحدث بلا انقطاع¹.

رابعاً: المصطلحات العلمية ذات الدلالة المتعددة

¹ ينظر: مفاهيم مصطلحية، في مجال الإعلام والاتصال ، د. عباس محمد الصوري، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، العدد ٩٤ لسنة ٢٠٠٢، ص ٣٥.

ثم تبرز مشكلة لا تتعلق بهذه المصطلحات العلمية الجديدة بقدر ما في المفاهيم التي تعبر عنها، فهذه المصطلحات ليست كلها تقنية، فنسبة كبيرة منها تروج لمفاهيم يختلط فيها السياسي والفكري والعلمي، وتحيل إلى دلالات لها أبعاد ثقافية ترتبط بالهوية العربية والإسلامية التي تعكسها اللغة العربية، وهي في نظر كثير من المفكرين "تشكل أحسن أداة لنقل المبادئ"^٢، بل أخطر أداة إن لم تتم معالجتها عند التعريب، لأنها نبتت ونشأت في بيئة غريبة لها تصورات مغايرة للبيئة العربية والإسلامية التي نعمل على نقل المصطلح إليها.

خامساً: انتشار تداول المصطلحات ورسوخها قبل التعريب

ولعل من أبرزت الاشكاليات التي تدفع إلى الإسراع المنضبط في تعريب هذه المصطلحات وتحديد دلالاتها هو انتشارها وتداولها بشكل واسع من قبل أبناء مجتمعاتنا ولاسيما فئة الشباب والمتعلمين الذين ليس لهم قدم راسخة في سلم الهوية، مما يجعلهم يتمسكون بالمصطلح الاجنبي فيكون التعريب، أو تقبل المراد الدلالي الغربي للمصطلح.

سادساً: التعريب غير المنضبط

وهناك إشكالية تكمن في وجود محاولات لترجمة المصطلحات الحديثة تقوم بها مؤسسات تجارية أو موجهة ، وغالبا لا تلتزم (بقصد أو من دونه) بمنهجية صارمة تساعد على الحد من نشر ما تعتريه المصطلحات المترجمة من مفاهيم مغلوطة أو منحرفة.

وهذا النوع من المصطلحات يطرح جدياً عدة قضايا، على رأسها: نوعية العلاقة بين المعجم والمصطلح من جهة، وبين المصطلح وما يحيل إليه من مفاهيم من جهة أخرى، ولاسيما عندما يتعلق الأمر بالبعد الاجتماعي والثقافي الذي يتحرك فيه هذا المصطلح.

^٢ ينظر: التعريب وتنسيقه في الوطن العربي د. محمد المنجي الصيادي. بيروت ١٩٨٠

فالسباق الاجتماعي والثقافي يعكس نوعية المفاهيم التي ينقلها المصطلح على مستوى الحياة التي يعيشها المستعملون له أفرادًا وجماعات، كما يعكس أيضًا نوعية العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاجتماعي^٣.

ولذا يرى بعض الباحثين : أن دراسة مفردات المعجم، هي دراسة للمجتمع، وأن الانطلاق من دراسة المفردات إنما يكون لمحاولة تفسير مجتمع معين^٤ ، ومنه نتوصل إلى أن المعجمية تتناول المصطلحات كظاهرة اجتماعية، والتعامل معها تعريبًا وإنشاءً وصياغةً ودلالةً إنما هو عملية توصيف المجتمع، وتفسير ظواهره ، وإدراك قيمه وأنظمتها.

^٣ د. عباس الصوري: الرصيد المعجمي في اللغة العربية، الرباط ١٩٩٥، نقلا عن مفاهيم مصطلحية، في مجال الإعلام والاتصال، ص ٣٨ .

^٤ منهج المعجمية، جورج ماطوري: ترجمة د. عبد العلي الودغيري ١٩٩٣ .).

المبحث الأول: ضوابط تأصيلية للتعامل مع المصطلحات ودلالاتها

أولاً: حق المصطلح محفوظ

أصل هذا الضابط : قوله عليه الصلاة والسلام: مَنْ سَبَقَ إِلَى مَا لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ مُسْلِمٌ فَهُوَ لَهُ^(٥). وقوله عليه الصلاة والسلام: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةٌ^(٦).

قال ملا علي القاري: من سبق إلى أي مباح، ومعناه: أي إلى ما لم يسبقه إليه مسلم فهو له أي ما أخذه صار ملكاً له دون ما بقي في ذلك الموضع فإنه لا يملكه^(٧). وقال مصطفى البغا: (سبقك بها) سبق إلى الفوز بتلك المنزلة إذ طلبها مندفعاً وليس مقلداً^(٨).

ومن آثاره:

- **حفظ حقوق المبتكر للمصطلح** ، فمن سبق غيره (مبتكراً لا مقلداً) إلى شيء من المباحات استحق ملكه وأختص به، وأعمال الفكر وصناعة المصطلح من المباحات فمن سبق إليها استحق ملكه، واختص بملكيته ونسبته إليه، وحقه محفوظ فيما يترتب على ذلك، ولا يجوز الاعتداء عليه.

وهذا يحفز المترجمين وعلماء اللغة والاختصاصات الدقيقة على بذل غاية الجهد للوصول إلى مدلول عربي دقيق للمصطلح الاجنبي؛ لأنه سيكون ماركة تسجل باسمه، وفيه مسؤولية تحمل تبعات ما يترتب من استعمالات تعريب هذا المصطلح.

- **عدم التلاعب في استخدام دلالة المصطلح بغير موضعه**: وإن كان هنالك تقارب بينهما، مراعاة للدقة، واقتصاراً على أصل المصطلح ودلالته، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا أَنْتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ،

(٥) أخرجه ابو داود، باب في اقطاع الارضين، ج ٣/١٤٢، ح ٣٠٧٣، وصححه الضياء في الأحاديث المختارة، أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد المشهور بالضياء المقدسي، (١/٤٥٨)، واقره ابن حجر: تلخيص الحبير، لابن حجر ج ٣/١٥٠، وحسن إسناده في الإصابة ١/٢٢٠.

(٦) أخرجه البخاري باب من لم يرق، ٧/١٣٤، حديث رقم ٥٧٥٢، ومسلم باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ١/١٩٧، حديث رقم ٢١٦.

(٧) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري (ت ١٠١٤هـ)، (ج ٩/٤٥٦).

(٨) صحيح البخاري شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا، ٧/١٢٦.

وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ . قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ: «لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» أخرجه البخاري

قال ابن بطال^٩: ونبيك الذي أرسلت ، قال المهلب: إنما لم تبدل ألفاظه (صلى الله عليه وسلم) ، لأنها ينابيع الحكمة، وجوامع الكلام، فلو جوز أن يعبر عن كلامه بكلام غيره سقطت فائدة النهاية في البلاغة التي أعطاها (صلى الله عليه وسلم) .

وقال: ورسولك الذي أرسلت يدخل فيه جبريل وغيره من الملائكة الذين هم رسل الله إلى أنبيائه وليسوا بأنبياء، كما قال تعالى في كتابه: (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ) (سورة الحج: ٧٥)، فأراد بقوله: ونبيك الذي أرسلت - تخليص الكلام من اللبس أنه المراد (صلى الله عليه وسلم) بالتصديق بنبوته بعد التصديق بكتابه الذي أوحى الله تعالى إليه وأمرهم بالإيمان به،

وقال النووي^{١٠}: اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي سَبَبِ إِنْكَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَدَّهُ اللَّفْظَ فَقِيلَ: أَنَّ هَذَا ذِكْرٌ وَدُعَاءٌ فَيَنْبَغِي فِيهِ الْاِقْتِصَارُ عَلَى اللَّفْظِ الْوَارِدِ بِحُرُوفِهِ وَقَدْ يَتَعَلَّقُ الْجَزَاءُ بِتِلْكَ الْحُرُوفِ وَلَعَلَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ فَيَتَعَيَّنُ أَدَاؤُهَا بِحُرُوفِهَا وَهَذَا الْقَوْلُ حَسَنٌ وَقِيلَ لِأَنَّ قَوْلَهُ وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ فِيهِ جَزَالَةٌ مِنْ حَيْثُ صَنَعَةَ الْكَلَامِ وَفِيهِ جَمْعُ النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ ،..وَأَنَّهُ لَا يُلْزَمُ مِنَ الرَّسَالَةِ النُّبُوَّةُ وَلَا عَكْسَهُ وَاحْتِجَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِهَذَا الْحَدِيثِ لِمَنْعِ الرِّوَايَةِ بِالْمَعْنَى وَجُمْهُورُهُمْ عَلَى جَوَازِهَا مِنَ الْعَارِفِ وَيُجِيبُونَ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ بِأَنَّ الْمَعْنَى هُنَا مُخْتَلَفٌ وَلَا خِلَافَ فِي الْمَنْعِ إِذَا اِخْتَلَفَ الْمَعْنَى.

- منع وضع اسم جديد لمصطلح معين محدد؛ ليبعد انطباق الأحكام والآثار المترتبة عليه، وليصرف عنه بعض دلالاته ذات الأثر الاجتماعي والفكري، وأصله ما رواه أبو مالك الأشعري رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

^٩ شرح صحيح البخاري، ١/ ٣٦٥

^{١٠} شرح صحيح مسلم ١٧/ ٣٣.

يَقُولُ: «لَيْشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّوْنَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا»^{١١} ، وفي رواية: (يستحل ناس)، ومعنى (يسمونها بغير اسمها) أي يبدلون اسمها لئيدلوا بذلك حكمها. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ مَا يُكْفَأُ - قَالَ زَيْدٌ: يَعْنِي فِي الْإِسْلَامِ - كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ يَعْنِي الْخَمْرَ ". فَقِيلَ: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللهِ وَقَدْ بَيَّنَّ اللهُ فِيهَا مَا بَيَّنَّ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُسَمُّوْنَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا فَيَسْتَحِلُّوْنَهَا»^{١٢} .

ومنه استبدال الربا بالفوائد المصرفية، وإشاعة الفواحش تحت مسمى الفن.

ثانيا: المصطلحات هويتنا

هنالك مصطلحات مشتركة تمثل حقا مشاعا لجميع الشعوب، واستعماله حق لجميع ابنائها، فمثلما العلم رحم بين أهله ، فمصطلحاته رحم بين الشعوب. ولكن هنالك لكل أمة مصطلحات خاصة تعبر عن معتقدها ورسالتها وريادتها، وهي من مقومات هويتها.

وأصله أن نقل المصطلحات من وضعها اللغوي الى وضع شرعي له دلالة على التعبير عن الهوية الشرعية لهذه الرسالة ، ولذا أصبحت الصلاة والزكاة والصيام والجهاد يراد به المعاني الشرعية عند التداول لها في المدونات الشرعية، بل إنَّ الشرع سبق الى وضع مصطلح لم يسبق اليه لبعض الحالات التي انفرد بها النظام التشريعي الإسلامي ومنه لفظة الشهيد لمن يقتل في معركة مع المشركين والكفار .

فالمصطلحات ودلالاتها معلم راسخ وملمح أصيل من ملامح الهوية، قال الله تعالى : (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (سورة الجاثية: ١٨)

ولذا أنكر النبي عليه الصلاة والسلام من التمس دلالات شرعية بعيدا عن النصوص الشرعية، روي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ فَقَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَغَضِبَ فَقَالَ أُمَّتَهُوْكَونَ فِيهَا يَا ابْنَ

^{١١} أخرجه أبو داود وابن ماجه، والرواية أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

^{١٢} أخرجه الدارمي، وقال محققه: إسناده حسن.

الْخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيِّضَاءَ نَفِيَّةً لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقِّ فَنُكْذِبُوا بِهِ أَوْ بِيَاظِلٍ فَنُصَدِّقُوا بِهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي^(١٣).

ومن معالم ريادة الأمة وعلو هويتها صناعة المصطلحات الشرعية بالنقل والانشاء، ومراعاة الشريعة والقيم عند تعريب المصطلحات انتقاء وتعريفاً.

كما أن الاهتمام بالتقدم العلمي المبادر في مجتمعاتنا يجعلنا نرسخ هويتنا ليس في مجتمعاتنا فحسب وإنما في الحضارات الأخرى ، ولذا حينما ازدهرت عصور الحضارة الإسلامية بالعطاء العلمي المتجدد والمبتكر ترسخت هويتنا من خلال مصطلحاتنا التي أملت على الحضارات الأخرى التعاطي معها ، فكانت القمرة التي اكتشفها ابن الهيثم البصري التي أطلق عليها الغرب الكاميرا، وكانت الخوارزمية - نسبة للعالم العربي المسلم الخوارزمي - ولا تزال معلم من معالم الرياضيات والجبر والبرمجية حتى يومنا هذا.

والرجل الآلي من مصطلحات العرب (الصبي الآلة) لأنه من اكتشافات العلماء العرب المسلمين، فعالم الحيل -الميكانيك- المسلم بديع الزمان أبو العز اسماعيل بن الرزاز الجزري، من علماء القرن السادس الهجري ، يعدّ أول من ادخل (الرجل الآلي) إلى الخدمة المنزلية، فقد صنع لاحد الخلفاء آلة على هيئة غلام منتصب القامة ، وفي يده ابريق ماء وفي اليد الاخرى منشفة ، وعلى عمامته يقف عصفور ، فاذا حان وقت الصلاة يصفر الطائر ، ثم يتقدم الخادم نحو سيده ، ويصب الماء من الابريق بمقدار معين ، فإذا انتهى من وضوئه يقدم له المنشفة ، ثم يعود الى

(١٣) أخرجه أحمد (٣٤٩ / ٢٣) ح(١٥١٥٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه، باب كره النظر في كتب أهل الكتاب، ج٣/٥، ح٢٦٤٢١، قال الهيثمي، في مجمع الزوائد (ج١/١٧٤): رواه أحمد، وأبو يعلى، والبخاري وفيه مجالد بن سعيد ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما، قال عنه ابن حجر في التقريب : ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره، وقال الشيخ شعيب: إسناده ضعيف لضعف مجالد، وحسنه الالباني لأن له شواهد كثيرة، ينظر: ارواء الغليل، ج٣٤/٦، ح ١٥٨٩.

مكانه والعصفور يغرد ، حتى كان أعجوبة زمانه، وهو أول من صنع الرقم السري للمكاتب^{١٤}.

إن هذا الضابط يحفز المترجمين وعلماء اللغة والاختصاصات العلمية على التعاون في وضع مصطلحات جديدة تنسجم مع قواعد التأصيل الشرعي وضوابطه لأن عملهم في معجمية المصطلحات وموسوعيتها يقع ضمن دائرة الحفاظ على هويته في اللغة والمعتقد.

ثالثاً: المصطلح ابن بيئته.

والأصل في ذلك قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (سورة ابراهيم: ٤) إذ يفضل أن يكون المعدُّ للمصطلح أو الناقلُ له ملماً ببيئتين هما: البيئة التي ولد فيها المصطلح، مطلع على أعراف أهلها ومعتقداتهم ومدلولات عباراتهم، وعلى البيئة التي ينقل إليها المصطلح ودلالاته ويترجمه بلغة أهلها، فان بلغ بذلك مراتب متقدمة كانت قدرته على بيان دلالة المصطلح وتقديم مفهومه الى جمهوره أفضل ممن هو غريب عن بيئته.

وترشد الآية إلى مسألة تطور علم الألسنة ومنه المصطلحات سواء في المفهوم والدلالة، فلكل عصر لغته ومصطلحاته، والتجديد فيها من سنن التغيير الايجابية في المجتمعات .

ومن آثاره:

- مراعاة التخصص (الدقيق) في التعامل مع المصطلحات العلمية والتقنية، ولاسيما عند التوسع في المفهوم ودلالات المصطلح.
- احترام مراد واضع المصطلح في مدوناته^{١٥}.

^{١٤} عن كتاب الجزري / الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل ، وقد ترجم دونالد هيل هذا الكتاب الى الانكليزية عام ١٩٧٤م ووصفه مؤرخ العلم المعاصر جورج سارتون بانه اكثر الكتب من نوعه وضوحا ، ويمكن اعتباره الذروة في هذا النوع من الانجازات التقنية للمسلمين ، ينظر : احمد فؤاد باشا ، التراث العلمي الإسلامي، ص٣١.

إن هذا الضابط يعزز الرغبة بالانتماء للبيئة التي يعمل فيها صاحب الاختصاص، كما أنه يثمن الاختصاص الذي يعمل الواضع للمصطلح أو الناقل له المترجم لمعناه، وفيه تعزيز الهوية العلمية .

وعند تعارض اثنين أو أكثر في تحديد مفهوم المصطلح ودلالته ، وهذا التعارض مصدره عادة تنوع نظرات الباحثين وأفهامهم لهذه المصطلحات، وتأثرهم بتخصصهم أو بالتعريف الذي يصوغونه أو يعتمدونه عن غيرهم، يقول الأستاذ عبد الرحمن حبنكة: قد يختلف التعريف باختلاف المذهب العلمي الذي بني عليه، فيقدم صاحب التعريف تعريفه على وفق المذهب الذي يذهب إليه (أو الاختصاص الذي يتقنه)، ويعترض عليه المستدل على وفق (اختصاص) أو مذهب آخر يذهب هو إليه^(١٦)؛ ولهذه الأسباب تميزت الكتابات في مجال تعريب العلوم ومصطلحاتها، إذ يقف فريق من المترجمين الذين درسوا العلوم بلغة اجنبية ولم يدرسوا اللغتين، وفريق الباحثين الذين درسوا اللغتين أو إحداهما، ولم يلموا بالعلوم، وكلاهما يترجم في حقله متوهماً أنه يأتي بشيء جديد^(١٧)، واتقنها الذين يجمع بين دراسة اللغتين والعلم الذي يترجم مؤلفاته ومصطلحاته، وإن اختلف العلوم ينبغي أن نرجح تعريب ما ذهب اليه المختص بفن ذلك المصطلح، ومن تكلم بغير فنه جاء بالعائب.

رابعاً: مراعاة مقصدية المصطلح ومآل دلالاته (الترشيح الاصطلاحي)

لا يكفي دقة الأصل اللغوي وجذره، لاعتماده، وإنما يراعى مآل التداول الاصطلاحي، ولاسيما عند وجود الرغبة بتحريف المقصد منه، وإن كان ظاهره سليماً لا اعوجاج فيه.

^{١٥} مثل مصطلح العينة عند الفقهاء فقبل مناقشة حكم بيع العينة نقف عند مراد الفقيه

منه، ومثل مصطلح حسن صحيح الذي سبق اليه الترمذي في جامعه

(١٦) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة عبد الرحمن حبنكة الميداني ٣٨٨.

(١٧) إشكاليات العمل الإعلامي، د. محيي الدين عبد الحلیم ص ٣٨.

وأصله المنهج القرآني في التعامل مع المصطلحات، يقول الله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا انظُرْنَا واسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (البقرة: ١٠٤)، ويقول النبي عليه الصلاة والسلام (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)^{١٨}.

يقول السعدي^{١٩}: كان المسلمون يقولون في خطابهم للرسول عند تعلمهم أمر الدين (راعنا) أي راع أحوالنا فيقصدون بها معنى صحيحا وكان اليهود يريدون بها معنى فاسداً، فانتهزوا الفرصة فصاروا يخاطبون الرسول بذلك ويقصدون المعنى الفاسد، فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة سداً لهذا الباب، ففيه النهي عن الجائر إذا كان وسيلة إلى محرم، وفيه الأدب واستعمال الألفاظ التي لا تحتل إلا الحسن وعدم الفحش، وترك الألفاظ القبيحة، أو التي فيها نوع من التشويش أو احتمال لأمر غير لائق، فأمرهم بلفظة لا تحتل إلا الحسن.

وفائدة هذا الضابط: أنه يحفز المترجم على توسيع دائرة افقه والنظر المستقبلي ليس على مستوى مآل دلالة اللفظ، وإنما على مستوى حركة المصطلح في البيئة التي ترجم إليها، وحركة المجتمع تأثراً بدلالات هذا المصطلح وارتباطاته، مما يجعل المستقبل يبدأ من حاضرننا، وكل ذلك يحفز على الابداع والابتكار واستشراق المستقبل، بما يأمل المترجم العربي ذي الاختصاص تحقيقه.

خامساً: التطور الاصطلاحي والتجديد الدلالي

إن التجديد في حركة بناء المصطلحات وتطور دلالاتها هو امتداد لتجديد الدين كما أخبر بصيرورته رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»^(٢٠)، ويراه د. عمر عبيد حسنة: الفهم الجديد

^{١٨} أخرجه الترمذي

^{١٩} في تفسيره ص ٦١

(٢٠) رواه أبو داود (ح ٢٩١) والحاكم في المستدرک (٥٢٢/٤) وصححه، والبيهقي في معرفة السنن (١/ ١٣٧)، وقال السيوطي في مرقاة الصعود على سنن أبي داود (١٨٩): اتفق الحفاظ على أنه حديث صحيح، وقال الزين العراقي: سنده صحيح، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (١٢١): سنده صحيح، ورجاله كلهم ثقات، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٥٩٩)، وقال: والسند صحيح ورجاله ثقات، رجال مسلم.

القوم للنص، فهما يهدي المسلم لمعالجة مشكلاته وقضايا واقعه في كل عصر يعيشه، معالجة نابعة من هدي الوحي^(٢١).

والمراد بالحركة التجديدية للدين ومصطلحاته هي الحركة الاصلية المنضبطة ، ولا يراد بها الصورة التحريفية للتجديد التي تقوم على تحريف معاني بعض النصوص الشرعية لتتوافق مع مقتضيات العصر، مما يؤدي إلى تعطيل بعض الأحكام وحتى بعض شعائره، والذين يقومون بذلك يطلق بعضهم عليهم العصرانيون، وعلى حركتهم العصرانية، وهي تهدف إلى تحديث الفكر الديني، وتفسيره تفسيراً علمياً أو عقلياً، والتوفيق بين التراث والآراء العصرية، والأفكار الجديدة في الفلسفة والتاريخ والسياسة والاجتماع والعلوم^(٢٢).

ولا الصورة التخريبية للتجديد ، وهي أخطر من الصورة السابقة، وأكثرها شيوعاً ودعماً من الدول الغربية ومرادها عند أصحابها هو تغيير وتبديل في محتوى ومضمون المصطلحات الشرعية، لتتوافق مع تغيرات قيم هذا العصر ومعطياته ومنطلقاته المستمدة من الثقافة الغربية المعاصرة التي هي نتاج تفكير بشري محض، ليس للوحي المعصوم أثر فيه، فضلاً عن خليط رديء من تحريفات الأديان والملل الاخرى^(٢٣).

إنّ تطور الاصطلاح وتجديده المنضبط يقوم على أسس منها:

- استشعار المسؤولية القائم على المراجعة والتقويم، قال الله تعالى: (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) (سورة الحشر: ١٨)

- التراكمية: بالإفادة من الجهود السابقة والبناء على السليم منها، وعدم الاغترار بالانطلاقة الصفرية ، فالتراكمية تختزل الوقت والجهد ، وهو منهج الانبياء عليهم السلام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنَّ " مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ

(٢١) الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية، د. عمر عبيد حسنة، ص ٢٠.

(٢٢) ينظر المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ص ٥٣٢، نقلا عن تجديد الدين للدكتور أحمد بن محمد اللهيبي، ص ١٣.

(٢٣) تجديد الخطاب الديني للشريف ص ٣٧.

مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّيْنَةُ؟
قَالَ: فَأَنَا اللَّيْنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ "٢٤.

- **التفاعلية:** ونقصد بها قدرة المترجم على الاستفادة من الظروف والإمكانات المتاحة، والتفاعل الايجابي معها لإتقان العمل وتجويده، وأصلها اعتماد مبدأ الشورى مع ذوي الاختصاص ، قال الله تعالى: **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴿ آل عمران: ١٥٩.]

- **التكاملية:** من خلال العمل بروح الفريق الواحد، إذ من خلاله تتكامل التخصصات، فالانفرادية ولاسيما في عمل المعاجم الاصطلاحية والموسوعات المتعلقة بالعلوم المعاصرة تدفع الى الاستعلاء على الشركاء في العمل والهوية واحتقار عطائهم، فضلا عن كونها مذمومة فإنها تذهب بالإنجاز كله أو أكثره، وتمحق بركة العمل الجماعي ورشده، ومنه تكاملية عمل مجامع اللغة العربية فيما بينها أولاً، ومع المؤسسات والمراكز العلمية التي تتولي وضع المعاجم والموسوعات العلمية.

إن اعتماد هذه الضوابط في معالجة المصطلحات ودلالاتها ، تساعد على بناء شخصية المسلم العلمية على أسس مفادها:

- ترسيخ الهوية وتعزيز القضية. (وهي لا تعني التعصب وانما تربطه بمرجعية تقوم
السلوك والاداء)

- الابتكار والتجديد.

- الأمانة، والدقة العلمية.

- الإحاطة (توظيف الجهود السابقة ، واستشراف المستقبل).

- التفاعلية.

- التراكمية،.

- التكاملية.

- حسن الترشيد

^{٢٤} أخرجه البخاري ٤/١٨٦، حديث رقم ٣٥٣٥، ومسلم ٤/ ١٧٩١، حديث رقم ٢٢٨٦.

ومن فوائد هذا الضابط : أنه على الرغم من البعد الشخصي الذي يسعى إليه المترجم وذوي الاختصاص ، وهو يقوم بوظيفته برغبة واندفاع ، إلا أن العمل المتميز ضمن الفريق المبدع الذي تجتمع فيه الطاقة الكامنة المختزلة والحكمة العميقة والخبرة التراكمية، مع الطاقة الحركية المتولدة من حماسة الفتوة العلمية، إن هذا الجمع المتوازن والمتكامل لا بد أن يثمر عن برنامج لتعريب المصطلحات ودلالاتها، يتجاوز حدود الترجمة الحرفية والتعريف المحدود الى معجمية المصطلحات وموسوعية المفاهيم ودلالاتها وارتباطاتها ، وهذا ما نأمل من البرامج المستقبلية لمنصة اريد والمشاريع العلمية للمحفل العلمي الدولي في وضع موسوعة للمصطلحات العلمية والتقنية الحديثة وكافة مجالات العلوم والمعارف، خدمة لرسالتنا وسعيا لاستقلالية هويتنا وتحررا من قيود التعريب

فهذا الانجاز بإذن الله يعزز الريادة وبحررنا من التبعية، ويأتي بالاستقرار والترشيد بعيدا عن الفوضى والاضطراب الذي يغذيه الغرب، وتتمي في مبدعينا روح التجديد ليدفعوا التقليد.

المبحث الثاني: أثر دلالة المصطلحات على المجتمع (حرب المصطلحات)

حرب المصطلحات جزء هام وفرع مؤثر من الحرب النفسية لاسيما في الأزمات والحروب، لان المصطلحات تلعب دورا كبيرا في رسم السياسات وفي افتعال الأزمات، فنجد مصطلحا واحدا له تداعيات وآثار تؤدي الى حروب دولية دموية، وصراعات حضارية، او يدفع العدو للاستسلام. او يصرف الرأي العام عن احداث معاصرة او مستقبلية.

وليست المشكلة في ذات المصطلحات لاسيما الجديدة بقدر ما في المفاهيم التي تعبر عنها، فهي تطرح قضايا عدة، على رأسها: نوعية العلاقة بين المصطلح وما يحيل إليه من مفاهيم، وما يولد من تداعيات خطيرة على المستوى السياسي والاجتماعي والثقافي الذي يتحرك فيه هذا المصطلح.

فالسباق السياسي والاجتماعي والثقافي كما ذكرنا سابقا يعكس نوعية المفاهيم التي ينقلها المصطلح على مستوى الحياة التي يعيشها من توجه اليه -افرادا وجماعات- عند استعماله ومن ثم انتشاره، وحين ذاك توظفه الجهات المولدة لهذه المصطلحات. وتشتد خطورة المصطلحات حينما تكون جزءا من حرب نفسية، ترمي من خلالها القوى المتصارعة النيل من معنويات عدوها وخصومها، سعيا الى كسب المعركة او التغطية على بعض الخسائر.

وفي ظل التأثير الكبير لوسائل الإعلام على الرأي العام المحلي والخارجي، اشتد توجه الإدارات العسكرية للعناية بحرب المصطلحات، فضلا عن أن المصطلح الإعلامي يتسم بالغزارة في حجم مساحة المحاور المتعددة التي يستهدفها، اذ يروج لمفاهيم يختلط فيها البعد السياسي والفكري والعلمي والاجتماعي، ولذلك نجد بعض الباحثين ينظر إلى أن دراسة المصطلحات ومفاهيمها هي دراسة للمجتمع، ولا ينظر إليها باعتبارها مفردات مجردة، وإنما ينظر إلى القيمة الفعلية التي تمنحها أهميتها،

وآثارها، وهنا تكمن خطورة هذا الأمر، إذ قد يعبر مصطلح واحد عن مجتمع بأكمله وليس لأهله يد في صياغته أو تحديده.

وقد وظفت الإدارة الأمريكية وحلفاؤها سيطرتهم على وسائل الإعلام، وتبعية وسائلنا الإعلامية لها، أو اختراقها من قبلهم، في اعتماد سياسات محددة في التلاعب الاصطلاحي، ساهمت في تغييب الحقيقة أو تشويهها، وخلق مساحة من الغموض مكنتهم من تمرير ما يهدفون إليه في النهاية -والى مرحلة أو حد ما-.

ولخطورة الأمر ومعاشتنا لآثاره وتداعياته سنحاول في هذا المبحث الوقوف على اهم السياسات التي اتخذتها الإدارة الأمريكية بشأن حرب المصطلحات في اثناء غزوها للعراق واحتلاله. ومنها:

١- حرب المصطلحات تعزز حرب المعنويات ولاسيما أن الحروب انتقلت إلى حرب أفكار وعقيدة.

فكل وحدة عسكرية لها مصدران للقوة: مصدر معنوي ومصدر مادي، والمصدر المعنوي للقوة اهم بكثير من المصدر المادي، وإحراز النصر يجب توجيهه ضربات نفسية قوية الى معنويات العدو كونها مصدر القوة لديه، والحرب النفسية ومنها حرب المصطلحات افضل سلاح لتوجيه الضربات النفسية للعدو ولتحطيم المقاومة دون قتال، إذ تستهدف عقل وتفكير وقلب المقاتل بغرض تحطيم معنوياته والقضاء على رغبته في المقاومة وقدرته على القتال او مواصلته، يقول مونتجمري: إن اعظم عامل من العوامل المؤدية الى تحقيق النجاح هو روح المقاتل، لأنه امر هام وجوهري ان يفهم المرء ان المعارك إنما تكتسب أولاً وقبل كل شيء في قلوب الرجال، ويقول نابليون: يتوقف مصير الحرب على مقدار قوة الجيش المعنوية وان قيمة المعنويات بالنسبة للقوى المادية تساوي ثلاثة على واحد أي ان الجيش تكون قيمته ٧٥% من الناحية المعنوية و ٢٥% من الناحية المادية، وقد أيد نابليون كثير من العسكريين واذا كان اللواء فولر في كتابه (الاسلحة والتاريخ) قد خالفه في ذلك، بسبب اختراع الاسلحة الحديثة وتأثيرها في الناحية المادية للجيش، فانه يقر بان نسبة الناحية المعنوية للمادية هي ٥٠% أي ان الناحية المعنوية لا تزال ذا قيمة عظيمة حتى بعد

ظهور الاسلحة الحديثة، وان المعنويات كانت ولا تزال وستبقى عاملا حاسما في احراز النصر.

وإسلاميا يؤكد اللواء محمود شيت خطاب: "إن المعنويات هي العقيدة، وقد اثبت تاريخ الأمم ان الجيوش لا تهزم لقلة مواردها بل لضعف عقيدتها".

ومن المصطلحات التي حرصت على ترويجها الإدارة الأمريكية ونالت حضورا في وسائل الإعلام اسماء المعارك والهجمات التي تشنها قوات الاحتلال والقوات العراقية الموالية لها فالحرب الأولى عاصفة الصحراء والثانية المجد للعدراء، ومعركة الحرية ثم توالى الاسماء المثيرة للعمليات العسكرية كالخنجر والسيف والوادي المتصدع والستار الفولاذي والثور والقبضة الحديدية، وغيرها من الاسماء. التي لها اثر ايجابي في معنويات افراد القوات الأمريكية، وترمي من خلالها زعزعة معنويات المجاهدين وحواسنهم، في المقابل فرضت تعتيما إعلاميا على ترويج اسماء الفصائل المسلحة في العراق وكذا اسماء حملاتها القتالية واسماء رموزها.

٢- المصطلحات ليست مجرد كلمات عابرة بل هي اسس لغوية ومرجعية تشارك في تحديد قوانين اللعبة السياسية وهي قوالب لغوية - ذهنية تسهم في صياغة وقولبة الرأي العام.

ففي ظل غياب الخطاب البديل المؤثر او ضعفه، فانه من خلال هذه السياسة يتم اختراق الوعي العربي والإسلامي بتدرج تراكمي وبالتالي تخلق فضاء ووعيا ثقافيا زائفا، يفقد الهوية ويميع الانتماء ويغير بوصلة الولاء، ويؤسس لمنظومة مفاهيم وقيم تتولد عنها طرق جديدة في الرؤية، تتماشى مع طروحات (الولايات المتحدة الأمريكية) في الفهم، وذلك بتشكيل منظومة إسلامية على الطريقة الأمريكية؛ وفي المعالجة، باعتماد الحوار والسلام (ونبذ العنف -الجهاد- بشكل تام).

٣- ترويج مصطلحات فضفاضة يتم من خلالها توظيف القرارات والقوانين الدولية بما يحقق مصالح القوى الكبرى.

فعلى سبيل المثال، الترويج لمصطلح الارهاب هذا المصطلح الذي شاع على السنة السياسيين والمفكرين وترسخ في وسائل الإعلام، ولكن لو سألت ما معنى هذه الكلمة؟ فانك لن تجد جوابا! ليس بسبب العجز اللغوي عن التوصل الى تعريف

واضح " جامع مانع"، ولكن هنالك قصد في ابقاء هذه الكلمة بلا معنى محدد ليبقى فضفاضا يمكن استخدامه بحسب الحاجة! يقول الإعلامي نبيل دجاني: لا يوجد توافق على تعريف ما هو فعل الارهاب، وبالتالي اعطاء هذا الفعل تقييما اجتماعيا واخلاقيا، ومن المستبعد حصول مثل هذا التوافق.

وأدت التعبئة الأمريكية في وسائل الإعلام الى طغيان رؤية الحرب على الارهاب، كما يراه المحافظون الجدد الذين يسيطرون على الإدارة الامريكية -آنذاك- وكذلك طغى الطابع او الصورة الدينية -الإسلامية والعربية بالتحديد- على وصف الإدارة الأمريكية وأبواقها من وسائل إعلامية وكتاب رأي للحرب على الارهاب، وبذلك حددت الإدارة الأمريكية والمؤسسات السياسية والإعلامية التابعة لها العدو الجديد -الإسلام والجهاد- في حربها العالمية وسعت الى كسب التأييد.

٤- التلاعب بالرأي العام ومحاولة صرفه عن حقيقة الصراع لإبقاء تواصله في

دعم الحرب من خلال مصطلحات مموهة او مزدوجة

لقد وظفت أمريكا في حربها على العراق مصطلحات سعت الى ترسيخها في إعلامها وإعلام من يواليها حتى اصبح من الصعب تجاوزها من قبل المؤسسات السياسية والإعلامية حتى المناهضة للاحتلال، كما استخدمت مصطلحات جديدة مموهة او مزدوجة من اجل التأثير على الرأي العام وخداعه ومن ثم استقطاب تأييده، او على الأقل عدم معارضته للحرب او استمرارها.

فمن الامثلة على المصطلحات الجديدة المتجددة المموهة: (اسقاط النظام، المقاتلين الاجانب، التحرير، الديمقراطية، الفوضى الخلاقة، العنف الطائفي).

وعلى سبيل التفصيل نسوق مصطلحا واحدا اسهم في تحقيق السياسة اعلاه اغراضها، وهو مصطلح (سقوط النظام) فهو المصطلح الذي اخذ يمثل نقطة مفصلية في تاريخ العراق الحديث كما يقول الدكتور محمد عياش في كتابه "من فقه المقاومة"، وروجت الماكنة الإعلامية للعدوان لهذا المصطلح، حتى شاع في الأوساط المناهضة للاحتلال من دون ترو وتفكير، وتم التركيز على هذا المصطلح لتحقيق الإدارة الأمريكية لها ولحلفائها بعض المكاسب الإعلامية والسياسية منها:

- اختزال الحرب باسقاط نظام حاكم مثل مرحلة تاريخية عصبية في العراق والمنطقة والعالم، وسعت الإدارة الأمريكية بذلك الى صرف الانتظار عن جريمة الاحتلال المتمثلة بإسقاط دولة ذات سيادة وتدمير كل مؤسساتها وتعريض شعبها للضياع والمجهول، وما رافقه من مذابح جماعية وانتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان ونهب التراث والثروات وقتل العلماء والمفكرين وتهديم البنى التحتية.

- إن استخدام هذا المصطلح يعني التستر على الأهداف الحقيقية للاحتلال، وكسب التأييد الشعبي في الشارعين الأمريكي والعالمي، لدعم الحرب.

- اعطى الإدارة فرصة في ادعائها بتحقيق النصر او النجاح اذ تمكنت من ازالة النظام وساهمت في اقتصاص الشعب منه، ولا يزال هذا النجاح هو اكثر ما يردده قادة الاحتلال الى يومنا هذا، لا سيما مع تواصل الفشل في العراق حتى اضطرت الإدارة الجديدة الى القيام بخطوات اجرائية للخروج من العراق.

- احراج القوى المقاومة بانها لا تدافع عن بلد اسمه "العراق" وإنما تقاقل من أجل " النظام" لإضعاف شرعيتها وحرمانها من بعض التأييد. واتهام كل من يرفض الاحتلال بانه من ازام النظام وايتامه او من الصداميين او البعثيين، وهذا اسهم في تعميق الفصل الطائفي، وتغذية الحرب الطائفية وقتل واقصاء شريحة واسعة تحت هذا المصطلح وما تولد عنه.

واما الامثلة على توظيف المصطلحات المزدوجة للتضليل والتشويه بشكل لا يثير الانتباه (التحرير بديلا عن الاحتلال، والارهاب بديلا عن المقاومة، والتطهير العرقي بديلا عن عمليات الابادة البشرية، ومصطلح الاسناد الجوي بديلا عن القصف، والضرر غير المباشر بديلا عن قتل الابرياء وهكذا) وقد اسفرت هذه المصطلحات عن خداع مزدوج سواء للمؤيدين للحرب او معارضيهها، وحتى بعد تكشف حقيقة هذه المصطلحات فإنها تكون قد قطعت شوطا في تحقيق اغراضها من الحرب.

٥- العمل على حسر المفاهيم الإسلامية الاصلية، والترويج لمفاهيم تقترب من

المنظومة الغربية

ولعل هذه السياسة من ابرز تداعيات حرب المصطلحات على وسائل إعلامنا فعلى سبيل المثال مفهوم السياسة الشرعية ابدل بالإسلام السياسي وإطلاقه على الحركات السياسية التي ترفع الإسلام شعارا لها ، وبذل الجهود لإفشالها في برامجها الإصلاحية ، وحين ذاك ينسب الفشل وعدم القدرة على الحكم للإسلام تحت مسمى الإسلام السياسي.

الخاتمة

يرى كثير من الباحثين في مجال الترجمة والتعريب أن التعاطي مع المصطلحات باعتبارها مفردات مجردة، هي نظرة قاصرة ، ولا بد من تجاوزها إلى نظرة أعمق واشمل وأدق تتعلق بالقيمة الفكرية والاجتماعية التي تمنحها، ولذا فإن المستوى المعجمي يتميز بحمولته الثقافية الخاصة بكل شعب حسب عاداته وتصوراته وقيمه. وقد اهتمت المرجعية الإسلامية بهذا البعد ومن خلال استقراء تعامل النصوص الشرعية مع دلالة الألفاظ أو المصطلحات، يمكن إجمال ضوابط هذا التعامل بالآتي:

حق المصطلح محفوظ- المصطلحات جزء من هويتنا - المصطلح ابن بيئته-
الترشيد الاصطلاحي بمراعاة مقصدية المصطلح ومآل دلالاته - واخيرا الايمان
بالتطور الاصطلاحي والتجديد الدلالي.
ولكل من هذه الضوابط آثار وفوائد تغني التعامل مع المصطلحات.

التوصيات

- نوصي المترجمين وذوي الاختصاص بالإفادة من الألفاظ المهمة التي ذكرها علماء اللغة في قواميس اللغة ومن المخطوطات العلمية لصياغة المصطلحات .
- ونوصي منصة اريد والمحفل العلمي الدولي بالآتي:
- تبني مشروع تعريب المصطلحات العلمية والتقنية الحديثة
- اعتماد المعايير التي وردت في هذه الدراسة وغيرها من الدراسات الاصلية .
- الارتقاء ببناء المصطلحات بما يسهم في توظيف دلالاتها ومفاهيمها وارتباطاتها وبما يعزز الهوية الانسانية والحضارية لامتنا العربية الإسلامية، ويكون ذلك :
- من خلال الجمع بين التعريف المصطلحي والتحليل المعجمي والبناء الموسوعي:
- أما التعريف المصطلحي فهو "تعريف يختص بالألفاظ التي تتصل بمجال من المجالات المعرفية في العلوم الطبيعية أو الإنسانية لدى جماعة من الباحثين في ميدان معين"
- فالمصطلح يحاول ضبط المفهوم في مجال محدد ولذلك تجده يشكل المادة الأساسية للمعاجم المتخصصة.

وتتميز المعاجم بطابعها الاختزالي حتى لا يقع تشويش على المفهوم وعلى تحديده بدقة وصرامة.

أما البناء الموسوعي للمصطلحات فهو يميل أكثر إلى التفصيل، ويتطرق معه إلى عدة مجالات بلا ضابط معين، فهو يستثمر كل الارتباطات التي يراها مهمة في المفهوم الذي يحرره.
تم بحمد الله وفضله.